المقطّعات النثرية
في كتاب المجالسة وجواهر العلم للدينوري

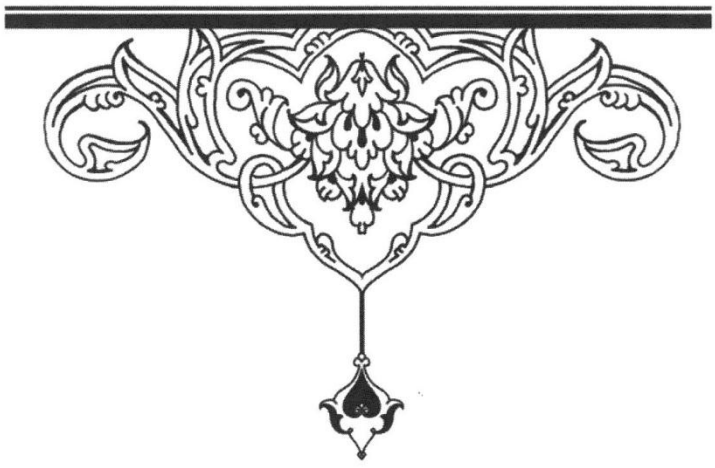

أ. د. شيماء خيري فاهم رائد كاظم النافعي
جامعة القادسية - كلية التربية للعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية

المقطّعات النثرية
في كتاب المجالسة وجواهر العلم للدينوري

أ. د. شيماء خيري فاهم رائد كاظم النافعي
جامعة القادسية – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية

الملخص :
تهدف الدراسة بإجراء كشف من خلال إحصاء لعدد المقطّعات النثرية في كتاب المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري في أجزائه البالغة (ستة وعشرون جزء) ومن ثم إخضاع هذا الفن النثري للتصنيف من خلال الكشف عن مكوناته وإرجاعه إلى طبيعة القول والتحليلً لبيان المضامين الإنسانية التي تكّون منها لتكون مرآة لعصرها وبيان طبيعة الثقافة العربية في العصور التي قيل فيها.
الكلمات المفتاحية : المقطّعات النثرية ، الفقر البليغة ، بلاغات

The prose passages in the book of councils and the jewels of knowledge by Al-Dinori

Al-Qadisiyah University / College of Education for the Humanities. the department of Arabic language
Dr :Shymaa khairy fahim
Shymaa. Fahim@ qu.edu.iq

Raed Kazem Al-Nafie

Al-Qadisiyah University / College of Education for the Humanities. the department of Arabic language

Alnafey raed . qmail . Com

summary:

The study aims to conduct a detection through a census of the number of prose passages in the book of councils and jewels of knowledge by Abu Bakr al-Dinori in its total parts (twenty-six parts), and then subjecting this prose art to classification by revealing its components and returning it to the nature of saying and analysis to clarify the human contents of which it is to be A mirror of its time and a statement of the nature of Arab culture in the ages in which it was said.

key words : Prose stanzas, eloquent poverty, eloquence

المقدمة :

المجالس الأدبية قيمة عليا في تاريخ المجتمعات العربية إذ يُشكّل المجلس نواة الأفكار وعلاقة تلاقحها بشتى أنواعها النثرية والشعرية فضلاً عن إنها الموجه لفكري الذي أخذ على عاتقه توجيه المجتمع بما يلائم الحياة العربية .وكتاب (المجالسة وجواهر العلم) لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري ينتمي إلى هذه السلسلة من المصنفات وخير من يمثل المرحلة التاريخية بكل توجهاتها . ومن خلال المقطّعات النثرية وأهميتها كنوع نثري اولاً وحامل فكري فلسفي ثانياً وتناقلها عبر العصور ثالثً توجهت الدراسة إلى إقتناء هذا الفن من كتاب المجالسة وجواهر العلم وإخضاعه للدراسة .

فقد كشفت الدراسة طبيعة هذا الفن وعمقه الفلسفي وتأثيره في النفوس وسلاسة تناقله عبر العصور حاملاً ثقافة الأمة بكل توجهاتها فضلاً عن طبيعة الحياة العربية القائمة على التوازن الفكري على وفق مرجعيات دينية وأخلاقية بالدرجة الأولى ، وهو يصوّر ثقافة الأمة التي كان عمادها القرآن الكريم والسنة النبوية .

المقطّعات النثرية في اللغة والاصطلاح :

قد أتفقت أكثر المعجمات العربية إن المقطعات هي الثياب القصيرة ولأبيات الشعرية القليلة (١) "ومقطعات الشيء طرائقه التي يتحلل اليها ويتركب عنها كمقطعات الكلام "(٢) وهي خلاف "مقطعات الشعر وهي قصاره وأراجيزه "(٣) ولم تسعفنا المصادر بتعريف إصطلاحي لها لأنضوائها مع الاجناس الأخرى إذ تتمتع بخاصية التميّز وجذب عين المتلقي وذوق السامع مما يدفعها للتأثير لتكون أقوال مأثورة يتناقلها الخلف عن السلف .

وما يميز المقطعات النثرية عن الأمثال والحكم الآتي :

١- عدم التقيد بصيغة خاصة وتتناول موضوعات شتى

٢- غالباً ما تكون خطاب مباشر ولأشخاص معينين لهم مرجعية تاريخية

٣- هي لون من الوان المعرفة وأشبه ما تكون بمادة جاهزة يرصع بها الكلام

٤- تبتعد عن الحشو في الكلام والتركيز على الفكرة والعمق في المعالجة الموضوعية في تناول القضايا المهمة .

وما يميّز المقطعات النثريّة أيضاً ما جاء عند الجرجاني بقوله:" اعلم أنّ مما اتفق العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه نقلت عن صورها الأصلية إلى صورها الأصليّة، رفع من قدرها و شبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً، وقسر الطباع على أن تعطيها شغفاً ومحبةً " (٤) وبهذا نفهم أن المقطعات واسعة الإطار المعرفي فهي تظم بين جوانبها لوحة ترسم

حضارة أمة بأسرها بما في ذلك العادات والأخلاق والمجالس والسمر .وكان يقال مقطعات الأدب قراضات الذهب (٥) لنفاستها وقوة تأثيرها .

ونجد في المصادر القديمة من أشار الى المقطعات النثرية بصفة خاصة والغاية منها وأبرزهم الجاحظ إذ يقول " وستذكر من مقطعات الكلام ونقصد من ذلك إلى القصار دون الطوال ليكون ذلك أخف على القارئ وأبعد من السآمة والملل "(٦) ومنهم من أشار اليها كونها من الآداب العشرة والمرتبطة بالمجلس والحديث والسمر وما يتعاطاه الناس بينهم في المجالس (٧) ونجد من يصفها بكلام التفضيل عن غيرها إذ يذكر صاحب كتاب نور الطرف ونور الظرف " هي المقطعات أدب كقراضة الذهب من شذور منثور ترتاح الأرواح إلى خطة أرواحها وكثرة غررها ولطف متونها وحسن عيونها ومعانيها المشرقة التذهيب والمؤنقة التهذيب" (٨)

فضلاً عن ذلك إن أبرز ما يميز المقطعات إنطلاقها من شخصيات مرجعية لها تأثير وحضور

بارز في التراث الادبي العربي فنجد الانبياء
والاوصياء والحكماء والمتكلمين والأدباء فضلا عن أرباب السياسية من خلفاء ووزراء وولاة .

وهذه الشخصيات المرجعية تحيل الى معنى تام وقارٌ تتضمنه ثقافة ما يؤدي هذا التوظيف مهمته من خلال مقروئية هذه الشخصيات كغيرها من الشخصيات المرجعية الاخرى لغاية التأثير وعمق المعنى المراد توصيله للمتلقي شريطة مشاركة القارئ في هذه الثقافة (٩) وفي المقطّعات نجد الايجاز في الاقوال الوجيزة لأدق المعاني الرئيسة دون تفصيل كذلك نجد الإيجاز حاضراً في الأقوال لغاية الحفظ وهذا ما أكده الدينوَري إذ يقول ((حدثنا احمد ، نا احمد بن عباد ، نا احمد بن سعيد الدارمي ، نا النضر بن شميل ؛ قال سمعت الخليل بن احمد يقول يطول الكلام ليُفهم ويوجز ليُحفظ))(١٠) فتطويل الكلام لغاية التفصيل في القول لتقريب الصورة من الذهن وإدراكه للمعنى المراد وبعدها يأتي دور الإيجاز لإقتصاره على الهدف الأساس من القول دون التفصيل مع الاهتمام بالجانب الإفهامي وحضوره في الذاكرة

على أن لا يَخل هذا الإيجاز بالمعنى وعدم تشظي الفكرة .والإيجاز من السمات البارزة في العربية وعنصر من عناصر هويتها وتميزها عن باقي اللغات .كذلك نرى إن هذه المقطوعة جاءت عن طريق شخصية مرجعية لها تأثير بالثقافة العربية والحضور التاريخي المؤثر .

ومن المقطّعات النثرية التي صدرت عن شخصيات مرجعية والتي كان الزمان والحدث يشكلان عناصر بارزة فيها ((حدثنا أحمد ، نا محمد بن مسلمة

، نا يزيد بن هارون ، عن عبد الله بن دُكينٍ عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده عليهم السلام قال : قال علي بن أبي طالب عليه السلام : سيأتي على الناس زمانٌ لا يبقى من الإسلام إلا إسمه ، ومن القرآن إلا رسْمُه ، مساجدهم يومئذٍ عامرةٌ وهي خرابُ من الهُدى ، علماؤهم شرٌ من تحت أديم السماء ، منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود)) (١١) نلحظ قيمة الزمان وتشكل الحدث فالإمام يصف الزمان من خلال سير مجموعة من الأحداث بإستشراف المستقبل إذ يفتتح كلامه بـ سيأتي فالزمان زمان المستقبل بمعية أحداث صوّرت طبيعة ذلك الزمان المرتبك يغلب عليه الطابع الشكلي لا الطابع الجوهري في حياة الناس فالدين الإسلامي فارغ المحتوى و حدود الله مهجورة ، كذلك عمران المساجد ببناء مرتفع بلا إدارة حقيقة لبيوت الله بوصفها موجهاً فكرياً للعباد ، فعمران المساجد لا بإرتفاعها وإنما بالهدى والصلاح قال تعالى (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّه)(التوبة :١٨) توضح الآية طبيعة العمران البشري وأولها الإيمان وأخرها خشية الله سبحانه وهذا ما قصده الأمام الأيمان أولاً والهدى الذي فيه صلاح العباد ثانياً ، ثم يبين طبيعة علماء ذلك العصر وهم علماء السوء وإرتباط شرهم بالكبائر التي حذّر منها

الله سبحانه المرتبط بفعل الفتنة التي هي أشد من القتل قال تعالى في وصفه لعلماء السوء (وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّه)(النحل : ٩٤) وهم اشد خلق الله فتكاً لأتباع الناس لهم وإضلالهم

طريق الحق وعملهم بسياسة الفتنة التي من شأنها تمزيق المجتمع وخلق تناحر وإقتتال دفاعاً عن آراء ضالة تبناها هؤلاء العلماء قال تعالى (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)(البقرة :١٩١) وهذا ما حذّر منه النبي الكريم في وصفه علماء السوء " ويل لأمتي من علماء السوء ليتخذوا هذا العلم تجارةً يبيعونها من أمراء زمانهم ربحاً لأنفسهم لا أربح الله تجارتهم " (١٢) أوجز الإمام في القول المأثور وحذر الناس من خلال حجج بالغة .

وفي مقطوعة نثرية عن نبي الله عيسى عليه **السلام** ((حدثنا محمد بن عبد العزيز ، نا أبن عائشة ، عن أبيه ؛ قال عيسى ابن مريم عليه السلام :تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا تُرزقون فيها إلا بالعمل))(١٣)

هذه مقطوعة قُطعت من كلام طويل للنبي عيسى عليه السلام في التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ذُكرت في سنن الدارمي (١٤) أُثرَت هذه المقطوعة لتميزها عن باقي جمل الكلام للنبي لأنها تُمثل خلاصة القول وبيان حالة العباد في

الدنيا والآخرة وطبيعة السلوك المجافي لحقيقة وجود الإنسان وخطأه في معرفة طريق الصلاح والحكمة في الموازنة بين الدارين وتركيز غاية جهده في الدنيا الفانية متناسياً رحمة الله في رزق عباده الصالحين وغيرهم على حد سواء وهو الرازق الحي المتكفل بمعيشتهم ومتجاهلاً أحقية العمل لآخرته التي سيرزق بها العباد بناءً على عمل الصالحات وخير العبادات

وفي مقطّعة نثرية عن قيمة الحب الالهي ((حدثنا احمد ، نا ابو العباس الآجري ، قال سمعت بِشر ابن الحارث يقول : قال بِشْر بن السري: ليس من أعلام المحب أن يحبَّ ما يُبغضه حبيبُه))(١٥) الحُب الصادق يوحّد القلوب ويؤلفها بين ابناء البشر وتكون رابطة المشاعر الصادقة هي ديدن العلاقة بين المُحب وحبيبه وهذا يسري على التوجهات كافة التي تتجه لها القلوب المحبة ، أما إذا كان المُحب متوجهاً بحبه وصدق مشاعرة لرب القلوب الله الواحد الأحد فلزاماً أن يبتعد عن كل ما يُغضب الله سبحانه ، للمحافظة على ديمومة العلاقة بين العبد وخالقه وحرصه على

عمران قلبه بالإيمان الصادق " ومعنى هذا إن كل حركات القلب والجوارح إذا كانت كلها لله فقد كمُل أيمان العبد بذلك ظاهراً وباطناً ويُلزم من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح "(١٦) وهذا ما أكده النبي الكريم في الحديث الشريف "من أعطى لله تعالى ومَنَع لله تعالى وأبغض لله تعالى وأحب لله تعالى وأنكح لله تعالى فقد اكتمل الأيمان "(١٧) ابتغاء مرضاة الله سبحانه .

ومن المقطّعات النثرية الفقر البليغة ومثلما أشار اليها أبو عثمان الجاحظ دون ذكر تفصيلات هذه الفقر من خلال تعريف جامع مانع إذ سماها الفقر المستحسنة والنتف المستخرجة والمقطّعات المتخيرة (١٨) وهي الإشارات البلاغية القليلة التركيب كثيرة المعاني بفقر متواترة على سبيل التعبير عن مكنونات النفس الإنسانية والتعبير عن قدر الفكرة "مما يجعل منها واقعة على محورين : محور جودة النظم وجمال العبارة ومحور الإيجاز وتقدير الألفاظ بحسب مقادير المعاني وتنزيلها منزلها مثلما هو الحال في التصوّر الجاحظي للبيان "(١٩) ومن أمثلتها في كتاب المجالسة ((قالت الحكماء : العقل رائد الروح ، والعلم رائدُ العقل ، وحياة المروءة الصدقُ ،وحياة الروح العفاف ، وحياة الحلم العلم ، وحياة العلم الفهم ،وحياة الفهم العمل ،وحياة العمل القبول))(٢٠) جاء في شمس العلوم " الرائدُ رسول القوم يطلب لهم الكلأ " (٢١) والرائد المتقدم في أول الأمر وفي هذه المقطوعة نجد ثمان جمل مع تقدير الألفاظ بتقدير المعاني كلها تصف الجانب الفكري والروحي والعلمي في حياة الإنسان مع إعطاء القيمة العليا للعقل والروح فكلاهما مقدمة لكيان الإنسان فالروح تبرز من خلال رسولها وهو العقل الذي يُفصح عن مكنوناتها كذلك العقل رسوله العلم الذي يُبين طبيعته الإدراكية في تصريف الأمور ثم تنتقل المقطوعة بالنسق نفسه

إلى طبيعة الحياة التي جاءت أهميتها بعد زينة العقل والروح من خلال جملة من الصفات العليا ومنها الصدق والعفاف .

وبعدها نجد التدرج المنطقي في ترتيب سُلم الحياة بحسب إرتباطه فحياة الحلم من خلال العلم وديمومة العلم وأهميته من خلال إدراك حالة الفهم ،كذلك الفهم يحتاج إلى ديمومة من خلال تجسده على أرض الواقع بصيغة عملية واضحة على أن يحظى هذا العلم بالقبول وهو العمل الصالح الجالب للمنفعة .ومن الفقر البليغة التي

تبين مكانة الدنيا والآخرة ((حدثنا أحمد ، نا أحمد بن علي ، نا أبن ابي الحواري قال : سمعت أبا سليمان الدَّاراني يقول : إذا كانت الآخرة بالقلب ؛ جاءت الدنيا تزحمها ، وإذا كانت الدنيا في القلب ، لم تزحمها الآخرة ، أن الآخرة كريمة وإن الدنيا لئيمة)) (٢٢) يتأسس إنبثاق التعبير في هذه المقطوعة النثرية على وفق حركة إنتقال في المكان (٢٣) وجعل من القلب المكان الذي تدور عليه الاحداث بين الدنيا والأخرة فمن خلال صفات الآخرة الكريمة والدنيا اللئيمة يُبين تطفّل الدنيا وعبثيتها للإطاحة بالعباد وسد الطريق إلى الآخرة ، لذا يحتاج منا التقرب إلى ثوابت الآخرة من خلال العمل للتعاطي مع كرمها بالفوز الأكبر قال تعالى (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ)(الضحى: ٤) وهي موعظة سامية لإدراك العبد الفرق والقيمة بين الدارين وضرورة إفراغ القلب للآخرة من خلال الأيمان بالله واليوم الآخر واخذ الحذر من الدنيا وشركها .

وفي مقطعة نثرية ((حدثنا إبراهيم بن نصر النها وندي ،نا سويد بن سعيد ، نا مسلم بن عبيد السُلمي أبو فراس ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ؛ قال : للسفر مروءة ، وللحضر مروءة ، فأما مروءة السفر ؛ فبذل الزاد وقلة الخلاف على أصحابك ،وكثرة المزاح في غير مساخط الله عز وجل ، وأما مروءة الحضر ؛ فإدمان الاختلاف إلى المسجد ، وكثرة الأخوان في الله تعالى ،وتلاوة القرآن))(٢٤) السفر الترحال والتنقل من مكان إلى مكان آخر أما الحضر فهو الإقامة والحَضرُ خلاف البدو والحاضرة ضد البادية (٢٥) فالتنقل والاستقرار كلاهما يحتاج إلى الانسانية في التعامل ولكن بصيغ مختلفة أو لها ما يحتاجه المسافر من بذل الزاد لإنقطاعه عن أهله وحاجته إلى مؤونة الطريق والسفر ونبذ الخلاف لديمومة العلاقة في السفر لأهمية الصديق في طريق الرحلة ،ومن أجل أضفاء مشاعر الود مع من تسافر كثرة المزاح في غير ما يثير غضب الله سبحانه وتعالى ليكون الود أحد روابط العلاقة المتينة في السفر ،ثم ينتقل إلى بيان مروءة الحضر أي الاقامة وأولها ما يتيح لك هذا الإستقرار وثبات المسكن من التردد إلى مساجد الله سبحانه وهذا من شأنه ان يعزز عدد الأخوان في دين الله ،ثم تُختتم هذه المقطوعة بالدعوة إلى تلاوة القرآن الكريم لما يُشكل هذا الكتاب من أهمية في حياة المجتمع على مختلف مسا كنه .

ومن القطّعات النثرية التي تبين طبيعة أحقية معرفة العبد بربه جاء في المجالسة ((حدثنا أحمد بن عبّاد التميمي ، نا الحمراني ذكره عن

عبيد الله شميط العَجّلاني ، عن فضل الرَقاشي ؛ قال : وجدت علم الناس في أربع : اوله ان تَعرف ربك ، والثاني أن تَعرف ما يصنعُ بِك ، والثالث أن تعرف ما أراد منك ، والرابع أن تَعرف ما مخرجك من ذنوبك))(٢٦) إن معرفة الله الواحد الأحد هي نعمة أولى فوق النعم ومن خلال هذه المعرفة تكون الخشية وعلى قدر الخشية تكون المراقبة والعبادة والمبادرة إلى الخيرات وترك المنهيات ومعرفة الله تعالى هو إستعمال نعمة العقل هذه النعمة العظيمة التي كرم الله بها الانسان وخصه بها والتي من خلالها يستطيع الإنسان أن يتخطى الحدود المعرفية لدرجة تحقق المعرفة تمكنه من معاملته وعبادته سبحانه كأنه يراه ويسمعه (٢٧) وبهذه العرفة التي تحقق العلاقة السامية تعرف ما عليك من واجبات وهذه المعرفة التي تهديك إلى طريق الرشد هي دليل مخرجك من ذنوبك فإن رأس العلم معرفة الله وطاعته سبحانه .

ومن المقطّعات النثرية التي جاءت بأمور عامة منها ((حدثنا أحمد ، نا إسحاق بن ميمون ، نا الحميدي عن الفُضيل بن عياض قال : قال بعضُ الحكماء : مدارك مصالح الأمور في أربع : في الطعام لا يؤكل إلا على شهوة ، والمرأة الصالحة يعفُّ بها الرجلُ نفسه ، والملك لا يصلحه إلا الطاعة ، والرعية لا يصلحها إلا العدْل)) (٢٨)

في هذا النص يتناول مفاهيم عامة تخص المجتمع في الفقرتين الاوليتين عن أمور إجتماعية تتعلق بالصحة والحياة الاسرية ما يرتبط بطبيعة النفس البشرية وعدم إرغامها على الطعام إلا بالرغبة كذلك الشريك في الحياة المرأة الصالحة التي تكون حصن للرجل من الهفوات ، ثم في الفقرتين الأخيرتين ينتقل إلى الحياة العامة وما يرتبط بالملك والرعية وطبيعة العلاقة المتبادلة بين الرئيس والمرؤوس و يحكمها رابطي الطاعة والعدل وبيان طبيعة الواجبات المتبادلة التي تنظم سياسة الحكم .

في مجمل الفقرات الأربع نلحظ خاصية التدرج من الخاص إلى العام وكأن المقطوعة ترسم مسار للفرد إذ يبدأ بصحته أولاً ثم إختياره لشريك حياته ومن ثم التطرق إلى حياته في المجتمع .

ومن القطّعات النثرية المتعلقة بالجانب الوعظي منها ((حدثنا أحمد ، نا عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، نا حسين بن الحسن المروزي ،نا ابن المبارك ، حدثني غير واحدٍ عن معاوية بن قرّة ؛ قال أبو الدرداء : أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث : أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه ، وضاحكٌ وليس يدري أراضٍ الله عنه أم ساخط عليه ، وأبكاني فراقُ الأحبةِ محمدٍ وحزبه ، وهولُ المطّلع والوقوف بين يدي الله عز وجل يوم تبدو السرائر ، ثم لا أدري إلى جنة أم إلى نار)) (٢٩) في المقطوعة لا يُستدعى الضحك

لغاية البهجة والسرور وإنما لسفاهة عقول بعض البشر الذين غرّتهم الحياة الدنيا في أطاله الأمل متناسياً إنه مطالب من قبل الموت ، وآخر غافل عن حتمية الموت والموت له بالمرصاد وليس غافلاً عنه متجاهلاً مذمة الغفلة وعدم يقظته ليوم الأخر أن الله لا يستجيب لعبدٍ دعاه عن ظهر قلبٍ غافل (٣٠) وذلك الغافل المتجاهل لحقيقته وترك قلبه للدنيا غافلاً عن الله سبحانه ولم يعلم إن الله يراه ثم لا يأخذه الحياء ولا يُقبل ذلك منه (٣١) ثم ذلك الضاحك ويستمر فعل الغفلة بعدم معرفته برضا الله عنه أم سخطه عليه ، ثم تتغير الحالة النفسية لتستدعي البكاء على ثلاثة وأولها فراق النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وحزبه لما يُمثله شخص النبي وآل بيته من مكانة سامية في قلوب المؤمنين وهذه المكانة المقرونة بالمودة قال تعالى (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (الشورى ٢٣) والبكاء من هول المطلع ما يلاقيه الإنسان عند الموت جاء في الحديث الشريف (لا تمنّوا الموت فإن هول المطْلع شديدُ) (٣٢) فضلاً عن الوقوف بين الله سبحانه لتصرّح السرائر عما في داخلها وهو أمر جلل يستدعي شدّة البكاء لعظمة الوقوف أمام عظيم السماوات والأرض من غير معرفة مصير الإنسان وإلى أي جهة يكون خلوده .

ومن المقطعات النثرية التي حفل بها (كتاب المجالسة) ما يتعلق بأداء الامانة ((قال بعض حكماء العرب : إن مما تُعجّل عقوبته

ولا تؤخّرُ ، الأمانة تُخان ، والإحسان يُكفّر والرحم تُقطع ، البغي على الناس ، وأيما رجلٍ أدى أمانته طيّباً بها نفسه ، فهو أحدُ الصّديقين ، ومن الأمانة أنَّ المرأة ائتمنت على فرجها))(٣٣) للأمانة قيمة عليا في الثقافة العربية الإسلامية وهي لا

تقل شأناً عن ثوابت الدين وصاحب الأمانة المحافظ عليها في أمان الله حيث ما أنقلب ، فعن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قال : ست من جاء بواحدة منهن جاء وله عهدٌ يوم القيامة تقول كل واحدة منهن كان يعمل بي الصلاة ، والزكاة والحج والصيام وأداء الأمانة وصلة الرحم "(٣٤) فخائن الأمانة وكأنما خان الدين والثوابت أجمع لذا لا تريث في عقوبته ، ومن يكفر بالإحسان وهو احسانك لله تعالى في عبادتك ، وإحسانك لله هو إحسان للبشرية جمعاء من خلال أعترافك بالفضل ومن تُعجل عقوبته قاطع الرحم وصلة الرحم غاية البر والتقوى وهي الرابطة الأنسانية التي نص عليها القرآن والسنة لذلك قيل " أعجل البر ثواباً صلة الرحم فاسرع الشيء عقاباً البَغي وقطيعة الرحم "(٣٥) وفي النص نجد الامانة والإحسان والرحم وكل مفهوم معه ما ينقضه على أيدي البشر لتكون الفقرة الرابعة ما تنص على ظلم الناس وهي شاملة من خلال البَغي ما جاء من الفساد والظلم على الناس دون وجه حق .

ثم يسترجع النص قيمة الأمانة بوصفها سلوكاً عاماً لكلَّ العبادات وما يتعلق بصلة الرحم والاحسان لله سبحانه وتوصيف العامل بها بالصديقين وهم من صدّق المرسلين وما أنزل عليهم من قول كريم . لتكون أحد جوانب اداء الأمانة ما يحفظ بيضة المجتمع من الفساد وما يتعلق بائتمان المرأة على شرفها وحفظ حقوق زوجها بما شرّع الله سبحانه .

وفي كتاب المجالسة للمرأة نصيب من مأثور القول من خلال بلاغاتهن بما يتعلق بأدب النساء . إن حركة النساء هي جزء من حركة عالمنا في الماضي والحاضر من أجل حياة إنسانية متوازنة تماماً (٣٦) فالمرأة العربية لها حضور في الحياة العربية لاسيما الجانب الأدبي وكانت بلاغات النساء خير ما يعبر عن هذا النصف الآخر من المكوّن البشري وهي بلاغات النساء هي " كلام النساء و محاضراتهنّ شعراً و نثراً في جميع أفانين الكلام وهو خلاصة منتجة من صميم البلاغة العربية المروية من النساء تتخللها شذرات ظريفة من فصيح قولهن، ويطبع في نفس قارئه ملكة البيان ويشرف الناظر على معارف مفيدة في معرفة الكثير من الأحوال الاجتماعية عن المرأة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام" (٣٧)

ومن هذه البلاغات من كتاب (المجالسة ((حدثنا احمد ، نا عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، نا عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب الاصمعي ، عن الاصمعي قال : قالت رابعة العدوية : شغلوا قلوبَهم عن الله بحُبَّ الدنيا ، ولو تركوها لجالت في الملكوت ثم رجعت إليهم بِطُرف الفوائد . ولم تُرِد أن أبدانهم وقلوبهم تجول في السَّماء ، ولكن تجول قلوبهم هناك بالفِكر والقصد والإقبال))(٣٨) تُبين المقطوعة حالة إنشغال القلب بغير الله وحب الدنيا ولو تركوا هذه القلوب لتحدد مصيرها لأختارات الله سبحانه مع نِعم الفائدة من هذا الأختيار إنّ حُب الله عزّ و جلّ هو الحكمة البالغة في هذه الحياة وعندما يكون الإنسان طائعاً لربّه فإنه يكون في مأمن مما قد يصيبه و يعتريه في هذه الدنيا وللقلوب مكانها الذي يختارها الله سبحانه وهو مدار الوعي الحقيقي لها والإقبال نحوه لذكره وطاعته وإلتزام دينه ، و مجرد ذكر لفظ الجلالة (الله) تزول وتتلاشى كل الهموم والصعوبات وتنتهي وينتهي تأثيرها كلياً ليكون القلب مشغولاً بالله سبحانه .

وتميزت القطعة بسهولة الفاظها وقُرب معانيها لأنها صدرت عن ذات مشغولة بحب الله والهيام في ملكوته فصدق التجربة تركت أثرها في النص أولاً وفي متلقي النص ثانياً " فالكلام

المنسجم بسهولة وسبك الألفاظ و عذوبتها و سهولتها له وقعٌ في النّفوس، وتأثير في القلوب، والتأثيرُ في المتلقي مفتاحُ إقناعِه بمضمون الخطاب " (٣٩)

الخاتمة والنتائج :

خلاصة ما تقدم أن المقطّعات النثرية وعددها في كتاب (المجالسة وجواهر العلم) (أربعمائة وسبع وثمانون) مقطّعة نثرية تحاكي ثقافة عصرها وتتناول قضاياه عامة وتتطرق لموضوعات شتى يَصعب حَصرها فقد حرص كتّابها على إيجازها مع بلوغ المعنى والتأثير بالمتلقي وإبلاغه الحجة عن رجالات ذلك العصر ونسائه .لتكون جزءً من مأثور القول الذي يتناقل عبر العصور من خلال الأجيال لأهميته وقدرته على إمتلاك العقول ليكون حاضراً في الثقافة العربية في كل زمان ومكان .

وأظهر الكتاب أهمية المجالس الأدبية وقيمتها العلمية وطبيعتها التوثيقية في حِفظ تراث الأمة ونقل ثقافات العصور السالفة إلى العصور التي تليها

مع أهتمام المؤلف في تكريس المفاهيم الفكرية من الوعظ والإرشاد والتوجيه وهو بطبيعة الحال يُشير الى خاصية الكتاب العلمية التربوية فضلاً عن بروز الخطاب الديني والروح الإسلامية وعمادها القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف لغاية الوعظ والتأثير والإقناع .

كذلك بيّنت المقطّعات ومن خلال الدراسة طبيعة الفلسفة العربية المرتكزة على الدين الإسلامي ذات العمق الفلسفي لاسيما ما يرتبط بالمجالس العلمية .

لم يَغفل المؤلف عَن دور النِساء في الأدبِ عامةً والسردِ خاصةً فكانت جهودهنَ واضحةً ومسايرةً للمقطّعات النثرية موضع الدراسة .

الهوامش :

١-ينظر :لسان العرب (مادة قطع) ج ٢٨٣:٤ وينظر تاج العروس ج٤٢:٢٢

٢- مجمع بحار الأنوار(باب قطع) ج ٢٩٥:٤

٣-نجمة الرائد وشرحة الوارد في المترادف والمتوارد ج ٤٤:٢

٤-أسرار البلاغة ٩٣:

٥-ينظر : زهر الآداب وثمر الألباب (المحادثة والمجالسة) ج ١٩٦:١

٦-البيان والتبيين ج٤٣:٢

٧-ينظر :محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ج١٩٢:١

٨-نور الطرف ونور الظرف ج١:١

٩-ينظر : تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية :٨٣

١٠-المجالسة وجواهر العلم مج ٣٣٧:٢ وينظر : مج ٢٩١:٢ ،٣٠٦

١١-المصدر نفسه : مج ٣٥٩:٢ وينظر : مج ٢ ٣٩٨،٣٦١

١٢-المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (باب ذم علماء السوء) ج٢٤٩:١٩

١٣-المجالسة وجواهر العلم مج ١٧:٥ وينظر مج٣ ٥٣٢،٥٠٠،٤٢٨،٢٣٧،١٨٥،

١٤-ينظر : سنن الدارمي ج٣٧٥:١

١٥-المجالسة وجواهر العلم مج ٣٩١:٢ وينظر مج٢ ٦٢،٤٩،٣٨،٢٥ ،

١٦-جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ج ٢١٣:١

١٧-مسند أحمد ج٣٨٣:٢٤

١٨-ينظر : البيان والتبيين ج ٥:٣

١٩-التفاعل في الأجناس الادبية مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة :٣٨١

٢٠-المجالسة وجواهر العلم مج ٣٣٢:٤ وينظر : مج ٣ : ٥٣٦،٥١٥، وينظر مج ٥ : ٨٢،١١٤

٢١-شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ج ٢٦٧٤:٤

٢٢-المجالسة وجواهر العلم مج ٢٤٣:٥ وينظر مج٦ : ٣٤٨،٣٤٤،٣١٦،٣٨

٢٣-ينظر : علبة السرد :٢٠٣

٢٤-المجالسة وجواهر العلم مج ١٩٤:٢ وينظر مج ٧ : ٧٥ ، ٢٠٥،١٧٥،١٦٠ ،

٢٥-مختار الصحاح (باب حضر) ج٧٥:١

٢٦-المجالسة وجواهر العلم مج ٢:٩٤ وينظر مج٥ : ٣٧، ٣٠٩،٣٤٩، ٣٥٤

٢٧-ينظر : حقيقة العبودية :٢٩

٢٨-المجالسة وجواهر العلم مج ٣:٤٥ وينظر مج ٣ : ٧٠،٩٦،١٦١،٤١٣،٥٠٨

٢٩-المجالسة وجواهر العلم مج ٢:٣٩٠ وينظر ٢٠٩،٣٧١،٣٩٥،٤١٣،

٣٠-ينظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج١٠:١٤٨

٣١-ينظر : نوادر الأصول في أحاديث الرسول ٢:٥٣

٣٢-المسند الجامع ج ٦:٤٢١

٣٣-المجالسة وجواهر العلم مج ٦:٣٠٨ وينظر ٢٨٢، ٣٣٨

٣٤-الإيماء إلى زوائد الأمالي والاجزاء ج ٣:٥١١

٣٥-نوادر الاصول في أحاديث الرسول ج ٢:١٩٠

٣٦-ينظر : نظرية الأدب النسوي :١٢

بلاغات النساء :٤

٣٨-المجالسة وجواهر العلم مج ٤:٢٩٥ وينظر مج ٢ ٣١،٢٣٧، وينظر مج ٦ :١٣٢ : وينظر مج ٨:٥٦

٣٩-ينظر : تحليل النص د. محمود عكاشة :٢٨

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

كتاب (المجالسة وجواهر العلم) أبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي (ت٣٣٣ هـ) تح أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، جمعية التربية الإسلامية ، دار بن حزم ،الطبعة الأولى ،١٤١٩_١٩٩٨ م

- البيان والتبين ،عمر بن بحر بن محبوب الكناني الليثي أبو عثمان الجاحظ (٢٥٥هـ) دار ومكتبة الهلال ،بيروت ١٤٢٣ هـ . د. ط

- **أسرار البلاغة في علم البيان** ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١ هـ) تح عبد الحميد الهنداوي دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١ م.

- **الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء . زوائد الأمالي والفوائد والمعاجم والمشيخات على كتب السنة ، الموطأ والمسند الأمام أحمد ، نبيل سعد الدين سليم جرار ، أضواء السلف ،الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.**

- **بلاغات النساء** ، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (٢٨٠هـ) شرحه أحمد الألفي مطبعة مدرسة والدة عباس الاولى القاهرة ١٩٠٨م

- **تاج العروس من جواهر القاموس** ، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ،تحقيق مصطفى حجازي. د.ط د.ت

- **تحليل النص** د. محمود عكاشة مكتبة الرشيد الطبعة الاولى ٢٠١٤ م .

- **التفاعل في الأجناس الأدبية مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة** ، بسمة عروس . مؤسسة الانتشار العربي . د.ط د.ت

- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جامع الكلم** ، زين الدين عبد الرحمن السلامي البغدادي الدمشقي (٧٩٥ هـ) تح شعيب الأرنأوط . إبراهيم باجي مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة السابعة ٢٠٠١ م .

- **زهر الآداب وثمر الالباب** ، ابو إسحاق الحصري القيرواني (ت ٤٥٣ هـ) دار الجيل بيروت د.ط د.ت

- **سنن الدارمي** ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت٢٥٥هـ) تح حسين سليم أحمد الداراني . دار المغني للنشر والتوزيع . المملكة العربية السعودية الطبعة الاولى ٢٠٠٠ م

- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم** ، نشوان بن سعيد اليمني (٥٧٣ هـ) تح حسين بن عبد الله العمري وآخرون دار الفكر المعاصر بيروت – دار الفكر دمشق سوريا .د. ت

- **علبة السرد ، النظرية السردية من التقليد إلى التأسيس** ، عبد الرحيم جبران ،دار الكتاب الجديد المتحده ، الطبعة الأولى ،٢٠١٣م .

- **لسان العرب** ، للإمام العلامة ابن منظور ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان .د .ط د.ت .

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** . أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧ هـ) تح حسام الدين المقدسي ، مكتبة المقدسي ،القاهرة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.

- **مجمع بحار الانوار في غرائب التنزيل ولطائف الاخبار** ، جمال الدين الصديقي الكجراتي ٩٨٦ م الناشر مطبعة دائرة المعارف العثمانية الطبعة الثالثة ١٩٦٧ م .

- **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء** ، أبو القاسم حسن بن محمد الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) الناشر شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم ،بيروت لبنان ، الطبعة الاولى .د .ت .

- **مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن ابي بكر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦ هـ) تح يوسف الشيخ محمد / المكتبة العصرية ـ الدار النموذجية ن بيروت صيدا ، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٩م.**

- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ،أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ) تح شكيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠١م.

- **المسند الجامع** تح وضبط محمود محمد خليل ، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.

- **المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة** ، صهيب عبد الجبار د. د د.ط د.ت . –**نجمة الرائد وشرحة الوارد في المترادف والمتوارد** ،إبراهيم بن ناصف اليازجي الحمصي ، مطبعة المعارف مصر ١٩٠٥ م .

- **نظرية الأدب النسوي** ، ماري إيجيلتون تر عدنان حسن ، رنا بتور دار الحوار الطبعة الاولى ٢٠١٦ م

- **نوادر الاصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم** ، محمد بن علي بن الحسن الترمذي (٣٢٠ هـ) تح عبد الرحمن عميرة دار الجيل . بيروت .

- **نور الطرف ونور الظرف** ، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري أبو إسحاق الحصري (ت ٤٥٢ هـ) .د. ط د. ت .